قسم اللغة والأدب العربي_جامعة أم البواقي_

محاضـرات مـادة (نظرية الرواية) السنة الثانية ماستر، تخصص:نقد حديث ومعاصر

إعداد الدكتورة:دلال فاضل

المحاضرة رقم: 04

يوم: 2021/01/10

الأفواج: 01-02

عنـــوان المحاضرة: المكان في الرواية

الهدف من المحاضرة:

-التعرف على الفرق الجوهري بين المكان والفضاء.

-معرفة أهمية المكان وعلاقته بالمكونات الأخرى في المحيكات.

-التعرف على أهم التصورات النقدية التي أطرت المكان.

يعد المكان على اختلاف طابعه وما يؤثثه مكونا من مكونات الرواية على مستواه تتطور الأحداث، واللافت للنظر أن معظم الدراسات النقدية قد أجمعت على أن المكان لم يحظ بعميق اهتمام من لدن المنظرين مقارنة بالمكونات الأخرى التي قدّموا حولها نمذجات نقدية تؤطرها، وفي هذا النطاق أيضا أشار الناقد حميد لحمداني في كتابه "بنية النص السردي". كما أشارت عديد الدراسات النقدية إلى أن الجهود النقدية المتعلقة بمكون المكان في المحيكات حديثة العهد تسعى جاهدة إلى بلورة تصور منهجي متكامل حول المكان.

إن الحديث عن المكان في الرواية يقتضي الإشارة إلى مسألة غاية في الأهمية متمثلة في الفرق الجوهري بين مصطلحي المكان والفضاء، فمعنى الفضاء أوسع وأشمل من معنى المكان لأن الفضاء كما أود الناقد لحمداني "يشير إلى المسرح الروائي بكامله، والمكان يمكن أن يكون فقط متعلقا بمجال جزئي من مجالات الفضاء الروائي". ويكتسي المكان في المحيكات أهمية إذ إنه يؤطر الأحداث مكانيا، فـ "تشخيص المكان في الرواية، هو الذي يجعل من أحداثها بالنسبة للقارئ شيئا محتمل الوقوع، بمعنى يوهم بواقعيتها". ورغم ذلك فإن أهمية المكان متفاوتة وفقا لاتجاهات الرواية المتعددة ولتنويع الرؤى الفكرية التي تؤطرها، إذ أشار لحمداني إلى أن المكان في الرواية الواقعية أكثر أهمية منه في رواية تيار الوعي، والروايات الأخرى، فـ "غالبا ما يأتي وصف الأمكنة في الروايات الواقعية مهيمنا بحيث نراه يتصدر الحكي في معظم الأحيان" وفي المقابل نجده أقل أهمية في أنماط الروايات الأخرى. يسهم المكان بشكل جلي في منح دلالات عدة للرواية حيث يمكن للروائي أن "يحول عنصر المكان إلى أداة للتعبير عن موقف الأبطال في العالم". وعلى هذا الأساس يتجاوز حده المنحصر في الوسط الطوبوغرافي الذي يؤطر المكان.

وسنحاول في هذه المحاضرة الوقوف عند أهم التصورت النظرية المؤطرة لمكون المكان خلال القرن العشرين، ولعل أولى الأطروحات التي نشير إليها، تصور غاستون باشلار الذي يتأسس على "دراسة القيم الرمزية المرتبطة إما بما يراه الراوي أو شخصياته من مشاهد وإما بأمكنة الإقامة كالمنزل والغرفة المغلقة والسرداب والأنبار والسجن والقبر وما إليها أي بالأماكن المغلقة أو المفتوحة المحصورة أو الشاسعة المركزية أو الهامشية، الجوفية أو الهوائية، وهي ضروب من المقابلات ينتشر فيها متخيّل كل من المؤلف والقارئ" (معجم السرديات)

ويمكن أن أشير في هذا السياق إلى جهود فليب هامون في التنظير للمكان الروائي، إذ إنه "نبّه على أنه توجد أمكنة تتجمع فيها الأخبار وتُتناقل وتُتَبادَل وتتخذ شكل الإخبار. ومثالها ركن المسارة وبهو اللقيا ومكان العبور والموقع الذي منه تُشاهد المناظر، ودُكان الحلاق، وصالون الحلاقة والحنفية العمومية وعين الماء والبئر". معجم السرديات، إضافة إلى هذه الأبحاث يمكن أن نذكر أبحاث جيرار جنيت ورولان بورنوف وغيرهم.

ويعد نموذج الفرنسي هنري متيران أنضح النمذجات النظرية المتعلقة بتأطير المكان، إذ طور منظوره في كتابه "خطاب الرواية" القائم على أن المكان يؤسس الحكي "لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة" (نبه النص السردي حميد لحمداني)، لذلك سعى إلى "البحث في الخطاب الأقصوصي عن قابلية المكان للتوظيف السردي Narraticité بدل النظر في سرديته Narrativité، ويعني ذلك استخراجا لمجموع الخصائص التي تجعل ضبط المكان ضروريا للإيهام بالواقع. فالمكان هو الذي يثبت أن القصص التخييلي حقيقة لا لبس فيها" (معجم السرديات). بهذا المعنى فإن هنري لوتمان يرتهن تصوره بالبحث عن دلالة المكان ووظيفته في منح معان جديدة للنص السردي، وتحدد آليات اشتغاله، وعلاقاته ببقية مكونات الخطاب الروائي.

يرى ميتران المكان في العمل السردي "شبكة من العلاقات والرؤيات التي تتضامن مع بعضها لتشييد مواقع الأحداث وتحديد مسار الحبكة، ورسم المنحى الذي يرتاده الشخوص..." هنري ميتران وآخرون (الفضاء الروائي) . بهذا المعنى فقد كرس ميتران جهده لبلورة تصور متعلق بالمكان، وفي هذا النطاق طرح مسألة "اختيار وتوزيع الأمكنة داخل السرد، والتي يرى أنها لا تتم بوحي من الصدفة أو خضوعا لخطة اتفاقية، وإنما وفق قواعد شكلية موروثة، مشيرا إلى أن التعامل مع هذه القواعد يجب أن يتجه إلى الوعي بتجربة المكان والقبض عليه في تمظهراته الواقعية والرمزية ثم التعرف على العلاقات البنيوية العميقة التي توجه النص وترسم مساره". (هنري ميتران وآخرون (الفضاء الروائي)).

يؤشر هذا الطرح على المسار المنهجي الذي حدده ميتران للتعامل مع مكون المكان عبر تحديد القيم الدلالية الرمزية والواقعية الايديولوجية للمكان. وعلى هذا الأساس جعل من المكان عنصرا حكائيا يتجلى عبر اللغة ومعاينة العلاقة التي يولدها مع المكونات السردية الأخرى سيما الشخصية من جهة و من جهة أخرى فالمكان مكون سردي وعنصر بنائي يشكل محورا أساسيا في بناء المحيكات.

المراجع المعتمدة:

-حميد لحمداني: بنية النص السردي.

-محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات.

-هنري ميتران وآخرون: الفضاء الروائي.

-دلال فاضل: مكونات النقد الروائي.